تَهْمِيشُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَدَارِسِ الدَّوْلِيَّةِ، وَمَدَى تَأْثِيرِهِ عَلَى هُوِيَّةِ النَّشْءِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

دعاء إسماعيل عبد الفتاح الشاذلي

ملخص البحث

إن اللغة العربية لها مكانتها السامية التي لا تُضاهى، وهي تتسم بالمثالية التي تجعلها في موضع السيادة لكل اللغات قاطبة.

والعربية هي لغة المسلمين أجمعين، وبها نزل القرآن الكريم، وتكلم بها رب العالمين، ولغة أفصح الخلق جميعًا، سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات وأجل التسليم، وهي اللغة التي يؤدي بها المسلم صلاته وعباداته اليومية.

لذا كان لزامًا على كل مسلم تعلمها وإتقانها، والحرص على تعليمها للأبناء، والاعتزاز بها، وتعميق انتماء النشء لهويتهم العربية الإسلامية.

هذا ولقد ضُيعت لغة القرآن الكريم، وراح العرب يستبدلونها باللغات الأعجمية! بل وأصبحوا يُعَلمون أبناءهم اللسان الأعجمي في المدارس الدولية، بدلًا من اللسان العربي الفصيح، ويفخرون بذلك!

من منطلق هذا الواقع العربي الأليم، آثرت اختيار هذا الموضوع، وسوف يتعرض البحث الحالي إلى بعض النقاط المرتبطة بهذا البحث، وهي:

- ماهية اللغة العربية.
- العلاقة الوطيدة بين اللغة العربية والهوية الإسلامية.
- مميزات وسلبيات المدارس الدولية.
- اغتراب طلاب المدارس الدولية في أوطانهم العربية.
- تحديات الهوية العربية الإسلامية في الوطن العربي، وكيفية مجابهتها.
- الحلول المطروحة لمعالجة سلبيات المدارس الدولية.
- دور الأسرة والدولة والمجتمع في تعميق الهوية العربية الإسلامية لدى النشء.
- الخاتمة.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية. المدارس الدولية. الهوية العربية الإسلامية.

يتمحور هذا البحث حول إشكالية ضعف الانتماء والهوية العربية الإسلامية، الناتج عن تهميش اللغة العربية في المدارس الدولية، فلقد ضُيعت لغة القرآن الكريم، وأصابها ما أصابها من التراجع والإهمال، متأثرة بأحوال الأمة العربية الإسلامية من الضعف والوهن، بعد أن كانت مُتربعة على عرش اللغات في عصر الفتوحات الإسلامية، وعَدَّها بنوها من العرب لغة لا تتماشى مع متطلبات العصر الحالي، ولا تتواكب مع التقدم العلمي والثقافي، وراحوا يستبدلونها باللغات الأعجمية! بل وأصبحوا يعلِّمون أبناءهم اللسان الأعجمي في المدارس الدولية والأجنبية، بدلًا من اللسان العربي الفصيح، ويفخرون بذلك!! من منطلق هذا الواقع العربي الأليم، آثرت اختيار هذا الموضوع.

في البداية، لابد أن نتعرف على:

ماهية اللغة العربية، ومنزلتها بين اللغات الأخرى:

إن لغتنا العربية هي لغة عريقة وشريفة، لها مكانتها التي لا تضاهى، فهي سيدة اللغات، وأهم لغة في لغات البشرية

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

جميعًا، نزل بها القرآن الكريم، قال تعالى: [إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾] [الزخرف:٣]، وتكلم بها رب العالمين، وهي لغة أفضل الخلق أجمعين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات وأجل التسليم، ولغة جُل المسلمين، يؤدون بها صلواتهم وعبادتهم اليومية، فهي لغة عقيدة بالنسبة لأمتنا الإسلامية العربية، وإذا عقلنا معنى قول الله تعالى في كتابه الكريم: [نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾] [الشعراء : ١٩٣: ١٩٥]، لوجدنا أن هذا الثناء من الله عز وجل على العربية، لَدليل قاطع على أفضليتها على سائر اللغات، وتشريف لها أن نطق وتلفَّظ بها الله تعالى، حقيقةً لا مجازًا، فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى لفظه وحروفه ومعانيه.

إذن فأفضلية هذه اللغة جاءت مستندة على دليل شرعي، لا تفضيل بناءً على هوى أو ميل أو تعصب، فاللغة العربية لها مكانة ومنزلة رفيعة بين لغات العالم قاطبة، حباها الله تعالى بالتفرد والشموخ والعظمة والبقاء دونًا عن غيرها من اللغات؛ وذلك باختيار "الله عز وجل لها لغة للتنزيل، حيث يعد هذا الحدث الجليل نقطة تحول في تاريخ العربية، فتوجهت العربية الفصحى نحو التوحيد والخلود؛ بخلود هذا القرآن الكريم، والموجه للخلق أجمعين"(١)، فاللغة محفوظة بحفظ الله تعالى لكتابه الكريم، الذي تعهد الله جل وعلا بحفظه، وذلك مصداقا لقوله تعالى: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾] [الحجر: ٨].

وهي "لغة حية ثرية سلسة، لغة قياسية مرنة، بها إمكانات ضخمة تؤهلها لأن تكون لغة للإنسانية جمعاء، وتؤهلها للاستجابة لمتطلبات العصور، والأجيال المتعاقبة، والمعارف المتجددة"(٢).

وهى إحدى اللغات السامية العريقة "فمن المعروف أن اللغة العربية تنتمي إلى أسرة اللغات السامية التي تنتمي إليها مجموعة من اللغات المعروفة، كالأمهرية في الحبشة، والسريانية في الشام، والعبرية"(٣)، غير أن العربية تمتاز "باستمرارها في صورتها الأساسية مدة تزيد عن الخمسة عشر قرنًا، دون تغيير يُذكر في تراكيبها وأصواتها ومفرداتها"(٤).

وتحتل العربية المركز الخامس بين لغات العالم حسب عدد الناطقين بها؛ وذلك نظرًا للإقبال الكبير على تعلمها من مسلمي شعوب كثير من دول العالم غير العربي، كدول جنوب شرق آسيا، وغيرها؛ حيث يقبلون على تعلم العربية، ودراسة تعاليم الشريعة الإسلامية، في المراكز والمعاهد والجامعات.

والمسلم يقرأ القرآن الكريم جيدًا دون أي مشقة، والحديث النبوي الشريف، والآثار والشعر الجاهلي، وفي "مقابل ذلك نجد أن المثقف الإنجليزي قد يجد صعوبة في قراءة بعض النصوص، التي لا يزيد عمرها عن الخمسة قرون فحسب"(٥).

يقول الرافعي: "إن هذه العربية بُنيت على أصل سحري، يجعل شبابها خالدًا عليها، فلا تهرم ولا تموت؛ لأنها أعدت من الأزل فلكًا للنيرين الأرضيين العظيمين: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن ثم كانت فيها قوة عجيبة من استهواء كأنها آخذة السحر، لا يملك معها البليغ أن يأخذ أو يدع"(٦).

إذن فلغتنا العربية صاحبة تراث علمي وديني عظيم لا نظير له بين باقي اللغات الأخرى، فهي الأولى عالميًّا من حيث دقة المعاني، وعدد مفرداتها المتداولة دون تكرار اثنتا عشرة مليون كلمة، وبها ستة عشر ألف جذر لغوي، وخير شاهد على عِظم عربيتنا وتراثنا العربي العظيم، وجود كم هائل من المخطوطات العربية القديمة في الكثير من مكتبات العالم بأسره، وفي المتاحف.

"ومما لا شك فيه أن علم اللغة من الدين، فبه تُعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة النبوية"(٧)، وتعلم اللسان العربي واجب على كل مسلم عربي أو أعجمي؛ حتى يتمكن من أداء ما فرضه الله تعالى عليه من الصلوات والعبادات، يقول ابن تيمية: "فاللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"(٨). لذا كان لِزامًا على كل مسلم تعلم اللغة العربية وإتقانها، والحرص على تعليمها للأبناء، والاعتزاز بها.

تعريف الهُويَّة العربية الإسلامية:

(١) من حيث المدلول اللغوي:

بالرجوع إلى معاجم اللغة وجدت أن "الهُوية، معناها : حقيقة الشيء أو الشخص، التي تميزه عن غيره، (وهى كلمة محدثة)"(٩).

(٢) تعريف الهُوية اصطلاحًا:

أما تعريف كلمة الهُوية في الاصطلاح:

فـ "هي جملة علامات وخصائص من أجناس مختلفة، تستقل بها الذات عن الآخر، فبغياب هذه العلامات والخصائص تغيب الذات وتذوب في الآخر، وبحضورها تحضر"(١٠).

كما تُعرَّف بأنها: "مجموعة من الخصائص والقيم الجوهرية لكيان بشري، سواء أكان فردًا أم جماعة"(١١).

وبالتالي فمن الممكن أن نعرف الهوية العربية الإسلامية بأنها: "هي مجموع المميزات والخصائص، التي تتميز وتنفرد بها الأمة العربية الإسلامية، عن غيرها من الأمم الأخرى".

وهذه الخصائص تتمثل في: (اللغة العربية، والدين الإسلامي الحنيف، والتاريخ الإسلامي، والقيم والعادات والتقاليد العربية).

العلاقة بين اللغة العربية والهُوية الإسلامية:

إن العلاقة بين لغة أي شعب وهويته، علاقة طردية وقوية، فكلما قويت اللغة قويت الهوية، والضعف اللغوي يؤدي بالتدرج إلى ضعف الهوية، كما "أن اللغة ظاهرة اجتماعية تنمو وتتطور كلما نمت الأمة وقوي شأنها"(١٢).

يقول الرافعي: "إذا انقطع الشعب من نسب لغته، انقطع من نسب ماضيه.. وما ذلت لغة قوم إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار.. وليست هناك أمة عزيزة الجانب تقدم لغة غيرها على لغة نفسها"(١٣).

وإذا نظرنا إلى أهم الخصائص الجوهرية، والمكونات الأساسية للهوية العربية الإسلامية، نجد أن اللغة العربية والدين الإسلامي، هما العنصران الأساسيان في بنائها وتكوينها، فـ"لكل دين علاقة جوهرية مع لغة معينة، وإذا اتحد الدين بلغة من اللغات قوَّى جذور تلك اللغة وحافظ على كيانها أكثر من جميع العوامل الأخرى"(١٤).

مما سبق نجد أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين اللغة العربية والهوية الإسلامية، فاللغة العربية هي حجر الأساس في بناء أمة عربية إسلامية متماسكة قوية عزيزة.

التعريف بالمدارس الدولية ونشأتها:

بعد أن عجز وفشل الاستعمار الأوروبي في حروبه مع العرب، لجأ الغرب إلى نوع آخر من الاستعمار، ألا وهو الاستعمار الفكري والثقافي، وهو أشد وأنكى من الحروب المسلحة، وذلك عن طريق: "التعليم الأجنبي الغربي"، فكانت المدارس الدولية والأجنبية ضربًا من ضروب هذا الغزو الفكري، وكانت بداية نشأة هذه المدارس مع بداية القرن العشرين، وكانت تختص بأبناء الجاليات الأجنبية في الوطن العربي، ثم اتخذت طابعًا تبشيريًّا، وأصبحت تحتضن أبناء الوطن العربي.

وتتجه حاليًا الأسر العربية الميسورة ماديًا، لإلحاق أبنائها في مدارس اللغات الدولية؛ وذلك لضعف ثقتهم في جودة التعليم الحكومي العربي، فالمناهج العربية للأسف هي مناهج تتسم بالفشل والرجعية، وعدم مواكبة الثورة العلمية في العصر الراهن.

والمدارس الدولية هي: "مدارس خاصة غير حكومية، يدرس فيها المناهج الأجنبية البريطانية، أو الأمريكية، أو الفرنسية، أو الألمانية، أو الروسية... وذلك وفق اتفاقات وإبرام عقود، من قِبل الدولة العربية مع الدولة الأجنبية التي ستُقَرَّر لغتها ومنهجها الدراسي في المدرسة الدولية، وذلك بواسطة المركز الثقافي للدولة الأجنبية، أو إحدى الجامعات المعترف بها في هذه الدولة الأجنبية، وتمنح هذه المدارس طلابها شهادات دولية معترف بها عالميًّا".

وتوجد مفارقة بين المدارس الدولية والأجنبية، حيث إن المدارس الدولية لا يتم فيها تدريس المناهج القومية للبلد العربي، وتتبع المنهج الخاص بالدولة الأجنبية المُختارة.

أما المدارس الأجنبية فمناهجها نفس المناهج في المدارس الحكومية للبلد العربي، ويتم تدريس المناهج القومية للبلد العربي (اللغة العربية - التربية الدينية الإسلامية - الدراسات الاجتماعية : تاريخ وجغرافيا البلد العربي - التربية الوطنية)، إلا إن تدريس الرياضات والعلوم يكون باللغة الإنكليزية، كما أن إتقان اللغة الأجنبية يكون على حساب اللغة العربية، مما يتسبب في ضعف الهوية العربية للطلاب في هذه المدارس.

مميزات المدارس الدولية، وأسباب الإقبال عليها:

- لإجادة اللغة الأجنبية بشكل أفضل.
- الجودة التعليمية في هذه المدارس، على عكس المناهج العربية التي تتسم بالجمود وإلغاء عمل العقل والقصور، فهي مناهج وضعت لاجتياز الاختبارات المدرسية فقط لا غير، وإخراج كفاءات

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

متدنية لا تتماشى مع متطلبات سوق العمل المحلية والدولية، فالنظام التعليمي للمدارس الدولية نظام قوي، وزادها اللغوي وفير، يُمَكِّن الطلاب من مسايرة التطور العلمي، والانفتاح الثقافي على الأمم والثقافات الأخرى، أما التعليم الحكومي العربي فهو نظام تعليمي متقهقر، ترتيبه في ذيل قائمة نظام دول العالم.

- تؤهل هذه المدارس طلابها للالتحاق بجامعات أجنبية خارج بلادهم العربية، بعد حصولهم على شهادات دولية معترف بها عالميًا.
- خريجي هذه المدارس مقدمين في سوق العمل عن أقرانهم من خريجي المدارس والجامعات الحكومية.
- الاهتمام بالتكنولوجيا والأنشطة والأساليب التربوية الحديثة.
- رمز للرفاهية والثراء والوجاهة الاجتماعية في مجتمعاتنا العربية.

سلبيات المدارس الدولية:

إذا نظرنا بعين بصيرة وناقدة لهذه المدارس، وجدنا العديد من السلبيات العامة لهذه المدارس، كالآتي:

- تدريس اللغات الأجنبية في المراحل الأولى من حياة الطفل العربي:

وهذا له أثر سلبي كبير على تعلم الطفل للغته الأم وإتقانها، ونحن لسنا ضد تعلم اللغات الأخرى بجوار العربية، لكن ضد تعليمها على حساب لغتنا الأم، وطغيانها عليها، وخاصة في مراحل الطفل العمرية الأولى.

- عدم تدريس المواد القومية (اللغة العربية - التربية الدينية الإسلامية - الدراسات الاجتماعية) في هذه المدارس، مما يضعف من انتماء وولاء الطلاب لبلدهم.

كما تم رصد أخطاء فادحة تاريخية وجغرافيَّة تُدرَّس للطلاب تضر بالأمن القومي العربي، كما يتم تدريس تاريخ وجغرافيا البلد الأجنبي التابعة له المدرسة الدولية، فنجد الطلاب لا يعرفون شيئًا عن تاريخ بلادهم والمناسبات القومية لها، ويحتفلون بالأعياد القومية بل والدينية لهذا البلد الأجنبي، المغايرة لقوميَّتنا ولديننا الحنيف!

-عدم الاهتمام بالقيم والأخلاق، والثقافة الإسلامية.

- الرسوم الباهظة:

وبالتالي فهي تقتصر على أبناء الأغنياء فقط، وبالتالي تخرج هذه المدارس أجيالًا يختلفون عن أقرانهم في بلادهم العربية، بل ومن الممكن تحقيرهم لهم وعدم الاندماج معهم في نسيج واحد؛ نتيجة لذلك نعاني من العنصرية والطبقية في مجتمعاتنا.

ومما يؤسفني ويؤلمني أن أكثر طلاب هذه المدارس من أبناء النخبة المثقفة، والأطباء، وأساتذة الجامعات في بلادنا، وهذا من الشين العظيم، فبدلًا من أن يكونوا هم درع الحماية والدفاع عن لغتهم، أصبحوا أداة ومعول لهدم هذه اللغة الشريفة، وتقصيتها وإبعادها عن الساحة العالمية، وبدأوا بأبنائهم وفلذات أكبادهم، بإلحاقهم بهذه المدارس، ثم نجدهم في المؤتمرات وعلى المنصات وفي وسائل الإعلام، ينادون بأهمية النهوض بلغة القرآن، وتعزيز الانتماء العربي والإسلامي!!

تهميش اللغة العربية في المدارس الدولية:

نجد للأسف الشديد تقليل وتقليص لحصص اللغة العربية بجوار اللغات والمواد الأخرى، وأحيانًا تكون حصص اللغة العربية اختيارية!

كما نجد العزل التام للغة العربية عن الاستعمال العام أثناء اليوم الدراسي، وإحلال للغة الأجنبية البديلة مكانها، كما أن دراسة العلوم والرياضيات والمواد الأخرى تكون باللغة الأجنبية المقررة.

نعم حثنا الرسوم الكريم على تعلم اللغات الأخرى، لا أن نتعلم بها وتكون هي لغة المواد الدراسية كالعلوم والرياضيات لأبنائنا، وذلك على حساب لغتنا العربية.

اغتراب طلاب المدارس الدولية داخل أوطانهم العربية:

إن تعلم لغة أجنبية ما، يعني اكتساب ثقافتها تباعًا، وهذا أمر لا مراء فيه، وهذا ما يحدث تمامًا لأبنائنا، حيث يدرسون تاريخ وثقافة البلدان الأجنبية المغايرة لثقافات مجتمعاتنا العربية، ولا يدرسون ولا يتعلمون ثقافات بلدانهم الإسلامية، وهذا من الخطأ الفادح، "فإن التعليم في مراحله المختلفة ينبغي أن يكون مستندًا إلى القيم الدينية والأخلاقية، وطبيعة المجتمع وطبيعة المتعلم نفسه" (١٥).

إن مجتمعنا العربي الإسلامي "له قيمه الضابطة له، وله بناؤه المعياري" (١٦)، والمدارس الدولية تقدم مناهج للطلاب، ذات طابع ثقافي بعيد كل البعد عن ثقافة البلد العربي الذي توجد على أرضه هذه المدرسة، وتتنافى وتؤثر بالسلب على القيم والأخلاق الإسلامية، وتدمر

الهوية العربية الإسلامية.

هذه المناهج تتماشى مع الطلاب الأمريكيين، أو الفرنسيين، أو البريطانيين ...، لكن لا تتماشى مطلقًا مع الطلاب العرب، وهذا يمثل خطرًا كبيرًا على النشء العربي.

وإذا نظرنا في داخل هذه المدارس، وجدنا العديد من المعلمين الأجانب بداخلها، ولهؤلاء المعلمين الأجانب سلوك وعادات وممارسات خاصة بهم وبأديانهم وبثقافات بلادهم، لكن يكمن الخطر الحقيقي عند اختلاط الطلاب العرب بالأساتذة الأجانب والتعامل معهم، ومن هنا نجد التقليد الأعمى من أبنائنا لهؤلاء الأساتذة في لباسهم وكلامهم وأفعالهم.

ثم إذا انتهي الطلاب من يومه الدراسي، ورجع إلى بيته وأسرته، وجد الأمر والنهي من الأبوين، ووجد تقاليد وعادات الأسرة العربية المسلمة، التي تحد من حريته المطلقة التي تمنح له دائمًا داخل مدرسته بدون تقيد بدين أو غيره؛ ونتيجة لذلك يحدث صراع في نفس الطالب، ومن ثم التمرد على قوانين ومبادئ الأسرة، وبالتالي اغتراب للطالب داخل أسرته وبين أهله.

وإذا نظرنا إلى علاقة خريجي هذه المدارس بالمجتمع والوطن الذي يعيشون فيه، سنجدهم "يعيشون حالة من الانسلاخ العشوائي عن الانتماء إلى هويتهم العربية" (١٧)؛ نتيجة لذوبان هذه الثقافة والهوية، والخلط بالثقافات الأخرى، وبث سمومها وخلطها بالمناهج التي درسوها وتعلموها بداخل هذه المدارس، كما نجدهم يشعرون بالاغتراب عن المجتمع العربي الذي نشؤوا فيه، ولا يستطيعون التواصل الفكري مع أقرانهم من خريجي المدارس الرسمية في بلدهم، ولا حتى التواصل مع أفراد المجتمع العربي عامة.

فنجدهم يشعرون بأفضليتهم وتميزهم عن غيرهم من أبناء أوطانهم، رافضين مخالطة مجتمعهم بل ومعادين لوطنهم، لا انتماء ولا وطنية لديهم، في انفصال وعزلة عن المجتمع وثقافته، ينظرون للمجتمع نظرة دونية؛ مما يلحق إضرارًا كبيرًا بنسيج المجتمع، وتحطمًا للنظم الاجتماعية في وطننا العربي الإسلامي.

ونتيجة لاغتراب خريجي المدارس الدولية؛ نجدهم يتجهون للسفر إلى الخارج؛ لاستكمال دراستهم أو العمل، والاندماج في المجتمع الغربي الأوروبي فكريًا وثقافيًا واجتماعيًا، ولا عجب في ذلك، فهذا الاندماج هو نتيجة طبيعية تمامًا، فهم قد هُيئوا فعليًا من قبل لذلك الأمر.

تحديات الهوية العربية الإسلامية في الوطن العربي، وكيفية مجابهتها:

يعيش الوطن العربي في الوقت الراهن عدة إشكاليات تتعلق بهويته العربية الإسلامية، تزامنًا مع عصر العولمة الثقافية "في هذا العالم المعاصر الذي بدأت تذوب فيه الثقافات، وتمتزج بعضها في بعض، أو يغطي بعضها على البعض الآخر" (١٨)، فنجد "أن المجتمع الإسلامي يعاني من قصور في تأكيد ذاته وهويته الثقافية" (١٩)، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها:

- الابتعاد عن تعاليم الدين الإسلامي، والانحراف عن أصيل مبادئه، من القرآن والسنة النبوية المطهرة، و"تخلخل البناء المعياري القيمي، واهتزاز نسق القيم" (٢٠)، فكان الضعف والتخلف في الوطن العربي هو النتيجة الحتمية لهذا البعد عن الدين، فلا عِزة ولا سيادة ولا ريادة ولا قوة لأمتنا العربية إلا بالرجوع لتعاليم الإسلام، فيجب على العربي المسلم أن يكون معتصمًا بإسلامه، وملمًا بالقدر الكافي من الثقافة الإسلامية؛ حتى يكون قادرًا على التحدي، ومواجهة الهجمات الشرسة على هويته الإسلامية.
- الاختلاف والفرقة بين المسلمين: وهذا أمر ظاهر وواضح جليًا، وهذا الاختلاف يُضعف الأمة الإسلامية؛ لذا يجب على المسلمين تجنب الشقاق والخلاف، والامتثال لأمر الله تعالى في كتابه الكريم، حيث قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ٤٦﴾ [الأنفال: من الآية ٤٦].
- الجور على اللغة العربية وإقصائها: لقد لاقت العربية من القطيعة والجفاء والجور من قِبل أبنائها، وفي عقر دارها، وأقبلوا على اللغات الأجنبية الأخرى، وحلت الإنكليزية بدلًا من العربية في التعليم، والبحث العلمي، والنشر الأكاديمي، وتدريس العلوم في الجامعات، وأصبحت لغة الإعلام والكثير من المؤتمرات، ثم إذا عايَنَّا وتقصينا حال لغتنا العريقة على أرض الواقع في الحياة العامة، وجدنا العامية هي اللغة التي يتحدث بها الأساتذة والطلاب في المدارس، والجامعات، والقنوات الفضائية، والمؤتمرات،

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

والندوات، بل وصل الحال لاستخدام العامية في الأدب فيما يسمي (بالأدب العامي)! وإذا تحدث بالفصحى في الحياة العامة أحد أبناء العربية البارين بها، يسخر منه باقي إخوته العاقين لها!!.

إن اللغة العربية هي "العامل المهم والمكون الأساسي في بلورة الهوية والحفاظ عليها" (٢١)، فيجب علينا أن نعتصم بلغتنا الأم، وأن نغار عليها، وأن ندافع عنها.

الغزو الفكري الثقافي:

مما لاشك فيه أن الغزو الفكري والثقافي من أخطر ما يواجه المجتمعات الإسلامية في الوقت الراهن، والمقصود بالغزو الفكري والثقافي هو: "المخططات والأعمال الفكرية والتثقيفية والتدريبية والتربوية والتوجيهية، وسائر وسائل التأثير النفسي والخلقي والتوجيه السلوكي الفردي والاجتماعي، التي تقوم بها المنظمات والمؤسسات الدولية والشعبية من أعداء الإسلام والمسلمين؛ بغية تحويل المسلمين عن دينهم تحويلاً كليًّا أو جزئيًّا، وتجزئتهم وتمزيق وحدتهم وتقطيع روابطهم الاجتماعية، وإضعاف قوتهم لاستعمارهم فكريًّا ونفسيًّا، ثم استعمارهم سياسيًّا وعسكريًّا واقتصاديًّا، استعمارًا مباشرًا أو غير مباشر" (٢٢)؛ وذلك بهدف إذابة الشخصية الإسلامية، والقضاء على تفرد الأمة الإسلامية وتميزها وخيريتها التي اختصها بها الله سبحانه وتعالى، حيث قال جل وعلا: [كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾] [آل عمران: من الآية ١١٠]، وبالتالي هدم المجتمع الإسلامي بالكلية، وله عدة شعارات لامعة ما هي إلا أقنعة يتستر بها كالحرية، والتحرر، والمدنية، والرقي...وغيرها من الشعارات الأخرى.

"صحيح أننا كأمة مسلمة عربية لا ينبغي لنا أن نعيش بمعزل عن العالم المتحضر، ولا أن نتخلف عنه، وأننا يجب أن نبني حضاراتنا على تكنولوجيا العصر والعلوم المكونة له، ولكن ذلك كله لا ينبغي أن ينسينا أنفسنا" (٢٣)، فينبغي علينا أن نكون أمة قوية؛ "لأن الأمة الضعيفة التي لا تملك دفع الغزو الثقافي عن نفسها ستكون مضطرة إلى التبعية ما لم تتمسك" (٢٤)، بهويتها؛ لذا فمن الواجب علينا الحرص كل الحرص والدفاع عن هويتنا العربية الإسلامية، وعدم الركض خلف الثقافات الأخرى المعادية للإسلام والمغايرة لتعاليمه، كما يجب علينا إحياء هويتنا وتأكيدها وتعزيزها والاهتمام بها، وتوعية الأجيال بكنه وحقيقة هويتهم، وعميق انتمائهم لدينهم ولأمتهم العربية.

الحلول المطروحة لعلاج سلبيات المدارس الدولية:

١- على مستوى الدولة والمؤسسات المعنية:

- لابد من الاهتمام باللغة العربية، وجعلها مادة إجبارية، وأن تُعطى من العناية ما تستحق، فلا سبيل لخلق أجيال مبدعة واعية متطورة من خلال لسان أعجمي؛ لذا كان لزامًا أن تكون اللغة العربية هي اللغة الأولى في المدارس الدولية.
- لابد من الاهتمام بتدريس علم النحو والصرف باعتبارهم الركيزة الأساسية، وزيادة عدد الساعات المقررة لدراسة النحو والصرف وعلوم اللغة العربية، وتكثيف نصاب الحصص الأسبوعية لمادة اللغة العربية.
- تعديل وتطوير مناهج اللغة العربية، وذلك "باتباع أحدث الوسائل لتعليمها" (٢٥)، و"التوسع في النشاط اللاصفي الذي يتيح فرصة ممارسة اللغة كتابة وخطابة" (٢٦)، "ويتطلب ذلك اختيار مادة تعليمية، ونماذج أدبية رائعة، تستهوي أفئدة الدارسين وتشحذ عزائمهم" (٢٧)؛ لذا فلا حاجة إلى ازدحام منهج النحو بالقواعد، وكثير منها ليس وظيفيًّا.
- لابد من عودة وتشجيع الفصحى في المدارس الدولية خاصةً، والمدارس الحكومية والجامعات عامةً، وإقصاء اللهجات المحلية والعامية، وتقديم المناهج بلغة عربية فصيحة صحيحة، وتصبح اللغة العربية الفصحى هي لغة الدراسة والتحدث داخل الفصول الدراسية.
- العناية بإعداد مدرسي اللغة العربية وتدريبهم تدريبًا عاليًا لُغويًّا وثقافيًّا وتربويًّا، (وهذا ينطبق كذلك على المدارس الأجنبية والحكومية)، فلا أمل للنهوض باللغة في ظل وجود معلم جاهل.
- الاهتمام بتدريس التربية الدينية، وعدم الفصل بينها وبين اللغة العربية، فمن نتائج هذا الفصل الجائر عامةً، أن أصبحت المناهج في كتب التربية الدينية تهتم "بما قدمه القرآن الكريم من أحكام مع إهمال طرائقه وأساليبه اللغوية في تقديم هذه الأحكام" (٢٨)،

وبالتالي "الانصراف إلى المضمون وإهمال الشكل، والاهتمام في مادة اللغة العربية بالشكل وإهمال المضمون" (٢٩)، فلابد من دمج التربية الدينية والثقافة الإسلامية في مناهج اللغة العربية، وجعلهم كيانًا واحدًا متماسكًا كما كانوا من قبل، فمعلم اللغة هو نفسه معلم التربية الدينية، وهذا يتطلب تثقيف معلمي اللغة العربية تثقيفًا دينيًّا، وأن يكونوا على قدر كاف من العلم بأمور دينهم ولغتهم.

- تقديم الإمدادات المالية، المناسبة للأنشطة والمسابقات اللغوية والثقافية والإسلامية.
- تنظيم وإقامة ندوات وبرامج لأولياء الأمور؛ لتوعيتهم بالتحديات التي تواجه الهوية العربية والإسلامية لأبنائهم؛ ولتشجيع أبنائهم على حب العربية والاعتزاز بها، والاعتزاز بإسلامهم وعروبتهم.
- الاهتمام بمقررات الدراسات الاجتماعية والتربية الوطنية، وتقديم المعلومات الصحيحة عن جغرافيا الوطن العربي، وتاريخ العرب الصحيح غير المُدلس.
- استبدال المعلم الأجنبي بالمعلم العربي الكفء، والذي يصلح أن يكون قدوة لأبنائنا.
- خضوع هذه المدارس تحت رقابة دائمة من الدولة، وإلزامها بتكثيف مناهج اللغة والتربية الدينية الإسلامية، وخضوع مناهجها كلية للتفنيد والتنقيح وذلك بالاستعانة بالعلماء والأساتذة التربويين، واقتراح خطط ومقررات دراسية بديلة، بما يتماشى مع عقيدتنا وثقافتنا الإسلامية.
- إيقاع الجزاء والعقوبات الصارمة على المدارس المخالفة لهذه اللوائح والقوانين.

٢- على المستوى الأسري والاجتماعي:

- الاهتمام بتحفيظ النشء القرآن الكريم، "والعمل على ترسيخ القرآن الكريم في الناشئة، مما يساعد على تربية التذوق اللغوي السليم لديهم، ويزودهم بذخيرة لغوية وافرة، ويمدهم بأساليب بيانية لا تنفد كثرةً وعمقًا واتساعًا" (٣٠)، فهو خير مُقوِّم للألسن، فيجب تحفيز الأطفال وتشجيعهم على حفظ القرآن الكريم، والاهتمام بدور ومراكز التحفيظ، وتأسيسها ودعمها وتطويرها، وإلا "فكيف تتألق الفصيحة إذا أبعدنا الأجيال عن حفظ القرآن الكريم، وتحليل أساليبه" (٣١)؟!!
- تحفيز الأسرة للأبناء على التحدث بالفصحى في تعاملاتهم اليومية مع بعضهم البعض، داخل المنزل وخارجه.

إن الأسرة هي الدعامة الأولى لبناء الشخصية المسلمة، وغرس القيم والفضائل فيها، ثم تأتي بعدها في المرتبة المؤسسات التعليمية، والتي تؤثر تأثيرًا مباشرًا في شخصية الطفل وهويته؛ لذا كان لزامًا أن يكون هناك ضابطًا للتربية الأسرية الصحيحة المتوازنة للنشء، ألا وهو القيم المستمدة من روح الإسلام والشريعة الإسلامية، وهذا الوازع الديني لابد أن ينشأ عليه الطفل منذ نعومة أظافره، وبالتدرج حتى يشب ويصبح ذا شخصية متميزة، معتزًّا بهويته العربية الإسلامية، والتي هي الأساس السليم لبناء تربوي متميز، ومن ثم بناء مجتمع إسلامي قوي منفرد متطور مواكب لعولمة العصر الحديث محافظًا على هويته متشبثًا بها.

الخاتمة:

وفي الختام أرجو أن أكون قد وُفقت في العرض في بحثي هذا، فما هو إلا محاولة جادة مني للنهوض بلغتي التي أفتخر وأعتز بها وأغار عليها، فواجب علينا نحن المسلمين الاعتصام بلغتنا وهويتنا، والغيرة الشديدة عليها، كما يجب أن تتكاتف الجهود من أجل هذا النهوض الفعلي على أرض الواقع، لا كلامًا ولا تشدقًا بل أفعالًا واقعية، فحبنا الحقيقي للغة العربية ليس عواطفا جياشة ولا شعارات براقة، بل عمل دؤوب من أجل عودة السيادة لصاحبة الجلالة.

وهذا الأمر متوقف على جُل المسلمين، وعلى العرب دولًا وأفرادًا ومثقفين، فهم من يصنعون مصير لغة القرآن بأنفسهم؛ لذا يجب عليهم نشرها وتعميقها حديثًا وكتابةً، في المؤسسات التعليمية، وفي المدارس، وفي الجامعات، وفي الإعلام، وفي شتى جوانب الحياة العامة، ومعالجة مشكلاتها وتقريبها من أذهان النشء، والنهضة بلغة الحوار الفصيح.

شكر وتقدير:

أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير لصاحب السمو/ الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم على جهود معاليه المخلصة المبذولة لخدمة لغة القرآن الكريم، من خلال مبادرته العالمية: "تحدي القراءة العربي"؛ لتشجيع مهارة القراءة لدى طلبة المدارس في الوطن العربي؛ من أجل إبراز أجيال

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

مبدعة خلاقة واعية مثقفة، لديها انتماء صادق للعروبة، وكذلك رعاية سموه لهذا المؤتمر والصرح العلمي العظيم، وتشجيعه للبحث العلمي والباحثين في مجال اللغة العربية من كل بقاع العالم؛ وذلك من أجل النهوض والارتقاء بلغة القرآن، وتعزيز الهوية العربية.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المراجع:

١- منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، عبد المجيد الطيب عمر، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، ط٢، ١٤٣٧هـ، ص٣٠٠.

٢- منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، ص٧٩ -٨٠.

٣- قيمة اللغة العربية، لمجموعة من المؤلفين، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ١٤٣٨هـ، ص١٦.

٤- المصدر السابق ذكره، ص١٦.

٥- المصدر السابق ذكره، ص١٦.

٦- تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، ط٧، ١٣٩٤ه-١٩٧٤م، ص٣١..

٧- المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (٤٧٥/١).

٨- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ه)، تحقيق: ناصر عبد الكريم عقل، دار عالم الكتب، بيروت، ط٧، ١٤١٩ه-١٩٩٩م، (٢٠٧/٢).

٩- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٥، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص١٠٤٠.

١٠- اللغة والدين والهوية، عبد العلى الودغيري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م، ص٦٨.

١١- الهوية الثقافية لطلاب البرامج الدولية بالتعليم العام بالمملكة العربية السعودية: دراسة إثنوجرافية، أحمد محمد مهدي الخالدي، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا للتربية، جامعة القاهرة، ٢٠١٦م، ص٢٢.

١٢- قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، سمر روحي الفيصل، ٢٠٠٩م، ص٤٥.

١٣- وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م، (٣٠/٣).

١٤- محاضرات في نشوء الفكرة القومية، ساطع الحصري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥م، ص٢٦.

١٥- الإسلام والعولمة: لعدد من المؤلفين، الدار القومية العربية، ط٢، ص١٣٧.

١٦- القيم الإسلامية والتربية، د/ علي خليل مصطفى أبو العينين، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص٨، بتصرف يسير.

١٧- مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع (١١٦)، ٢٠٠٩م، ص١١١.

١٨- القيم الإسلامية والتربية، ص٨.

١٩- المصدر السابق، ص٩.

٢٠- المصدر السابق، ص٩.

٢١- مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع (١١٦)، ٢٠٠٩م، ص١٠٨.

٢٢- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص٢٦.

٢٣- المدخل للثقافة الإسلامية، د/ يعقوب المليجي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص٣٧.

٢٤- قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، ص٤٥.

٢٥- منزلة اللغة العربية بين اللغات الأخرى، ص٢٦٥.

٢٦- المصدر السابق، ص٢٦٥.

٢٧- المصدر السابق، ص٢٦٥.

٢٨- قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، ص١٥.

٢٩- المصدر السابق ذكره، ص١٥.

٣٠- المصدر السابق ذكره، ص١٥١.

٣١- المصدر السابق ذكره، ص١٥.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2